رأي القدس

شريعة الغاب في الصومال

■ اعترفت الادارة الامريكية ان الغارات الجوية التي شنتها خلال الايام الاخيرة على بلدة في جنوب الصومال، وادت الى مقتل اكثر من مئة شخص غالبيتهم الساحقة من المدنيين، لم تنجح في قتل اي من المطلوبين الثلاثة من قادة تنظيم «القاعدة» المتورطين في تفجير السفارتين الامريكيتين في نيروبي ودار السلام عام 1998. الامر الذي يطرح العديد من علامات الاستفهام حول مدى قانونية مثل هذه الغارات، علاوة على جدواها.

شهود العيان احصوا يوم امس اكثر من مئة جثة لمدنيين من القبائل في المنطقة علاوة على مئات المصابين، ولا نعرف ما اذا كانت الادارة الامريكية ستعتذر عن هذه الكارثة، وتعوض الضحايا الابرياء وذويهم، مثلما طالبت ليبيا بدفع 15 مليون دولار مقابل كل شخص قتل في كارثة لوكربي، ام انها ستعتبر هؤلاء ارهابيين لا يستحقون التعويض بل القتل.

الادارة الامريكية اعطت لنفسها الحق بشن غارات في اي مكان في العالم تعتقد ان اعضاء في تنظيم «القاعدة» يتواجدون فيه، لان هؤلاء يشكلون خطرا على الامن الامريكي. وهو تصرف يعكس عقلية دموية لا تتواجد الا لدى الخارجين على القانون.

فشن غارات في دول ذات سيادة هو انتهاك للقانون الدولي والمعاهدات الدولية وميثاق الامم المتحدة التي تدعي الادارة الامريكية الحفاظ عليها وفرض احترامها، خاصة على الدول المارقة، بل انها شنت حروبا في العراق وافغانستان تحت هذا الشعار.

الصومال هو الضحية الثالثة، ولا نبالغ اذا قلنا ان هذه الادارة هي التي تشجع الفوضى والارهاب، بانتهاكاتها الخطيرة للشرعية الدولية ومعاهداتها ومواثيقها، وهي التي تقول انها تقود العالم الحر.

فافغانستان كانت دولة مستقرة قبل القصف الامريكي لها، وكذلك كان حال العراق، وبدأ الهدوء يعود الى الصومال بعد ان التف الناس حول المحاكم الشرعية التي حققت الامن والاستقرار بعد عشرين عاما من الفوضى والعنف. ولكن التدخل الامريكي في البلدان الثلاثة حولها الى دول فاشلة، واعاد لوردات الحرب والمافيات اليها لتستأنف فسادها ودمويتها وارهابها للمواطنين الابرياء.

الحكومة الصومالية الجديدة لن تنجح في تحقيق الامن للصوماليين، لانها حكومة نصبها الغزاة الاثيوبيون، ولن يكون مصيرها افضل من حكومة كرزاي في افغانستان، مع فارق اساسي وهو ان حكومة كرزاي منتخبة وحكومة السيد يوسف الصومالية مفروضة بقوة السلاح.

ومثلما استعادت حركة «طالبان» عافيتها وبدأت تحقق انتصارات ضد قوات حلف الناتو في افغانستان، فان قوات المحاكم الاسلامية الصومالية ستفعل الشيء نفسه وستواصل عملياتها لزعزعة استقرار حكومة مقديشو الجديدة والقوات الاثيوبية الداعمة لها.

القرن الافريقي كله يقف حاليا على حافة قلاقل واضطرابات قد تمتد للقارة الافريقية بأسرها، والمؤسف ان الحكومات الافريقية والعربية منها بالذات لا تستشعر هذا الخطر، وان استشعرته فلا تفعل شيئا خوفا من الادارة الامريكية وعقوباتها الاقتصادية.

استراتيجية بوش الجديدة: الحَجْر على العراقيين واستيفاء دَين الدمّ!

صبحي حديدي *

■ المصطلح ـ المفتاح، أو التعبير السحري الأشبه بـ«افتحْ يا سمسم»، في استراتيجية الرئيس الأمريكي جورج بوش الجديدة حول العراق، والتي أعلنها فجر أمس بعد شدّ وجذب وتشويق وطول انتظار، ليست زيادة القوّات الأمريكية 21,500 جندي (ليصبح العدد قرابة 153,000)، أو تمديد الفترة الزمنية للوجود العسكري الأمريكي في العراق إلى أجل غير مسمّى (بعد أن تجاوز مدّة انخراط الولايات المتحدة في الحرب العالمية الثانية)، أو إرساء «استراتيجية مشاركة» و«تحالف معتدل» مع ـ وفي ما بين ـ الشيعة والسنة والأكراد، أو إرسال التهديد التالي على لسان بوش شخصياً: «سنقطع تدفق الدعم من سورية وايران. وسنطارد الشبكات التي تقدّم أسلحة متقدمة وتدريباً لأعدائنا في العراق، وندمرها»...

كلّ هذا أساسي في الاستراتيجية الجديدة، وقيل علانية ونصّاً. أمّا المصطلح ـ المفتاح، الذي همس به خبراء وزارة الدفاع الأمريكية إلى نفر قليل من ممثلي الصحف الكبرى (بينهم جوليان بارنز، من «لوس انجليس تايمز» مثلاً) هو أنّ الجيش الأمريكي سوف يعمد إلى حجر الجماعات العراقية في مناطق مقفلة يطلق عليها رجال البنتاغون تسمية «الجماعات المبوّبة» Gated Communities، إذا جاز التعبير، نسبة ـ في العربية ـ إلى البوّابة وليس التبويب. وهذه تتمّ وفق الخطوات التالية:

1 ـ تغلق القوّات العسكرية مناطق محددة منتقاة، استناداً إلى حواجز طبيعية أو مصطنعة كالأنهار والطرق الرئيسية وعوائق الشوارع والحواجز (كما يُقال رسمياً، ولكن أيضاً على أسس مذهبية أو طائفية أو عشائرية (كما للمرء أن يتخيّل)؛

2 ـ تقتحم القوّات هذه المناطق، بهدف تطهيرها من «العصاة، والميليشيات، والأسلحة غير المرخّصة»؛

3 ـ سوف تحكم القوّات الأمريكية قبضتها على هذه المناطق عن طريق إقامة قواعد صغيرة أو مخافر قتالية داخلها، يفضّل أن تشارك فيها وحدات عراقية أيضاً، تقوم بأعمال الدورية والتطهير والحماية؛

4 ـ الدخول إلى هذه المناطق سوف يخضع لرقابة شديدة عبر الحواجز التي ستمنع الغرباء (الغرباء عن ماذا؟ عن الحيّ؟ المدينة؟ المحافظة؟ العراق بأسره؟) والمقاتلين والجرمين من دخولها، وسيُمنح سكّان هذه المناطق الدائمون بطاقات تعريف خاصة تُعلّق على الصدور (حرفياً، وبدقّة!)، كما يمكن للقوّات الأمريكية والعراقية أن تفتح سجلات اسمية لكلّ داخل وخارج؛

5 ـ تقوم القوّات العراقية والأمريكية بإجراء إحصاء سكاني يحدّد أسماء المقيمين في المنطقة وطبيعة علاقاتهم بالجوار، الأمر الذي يتيح فرصة أكبر لأشغال الاستخبارات وجمع المعلومات؛

6 ـ حين تنعدم أعمال العنف في المنطقة المعنية، عندها فقط يجب على القوات الأمريكية (وليس العراقية، لاحظوا جيداً!) أن تباشر استئناف الخدمات البلدية من أجل تأمين الوظائف للسكان؛

7 ـ وحين يتمّ استتباب الأمن في المنطقة، يمكن للقوّات الأمريكية أن تحاول توسيع نطاق المنطقة الأمنية لتشمل مناطق أخرى.

وبالطبع كان الخوف من تهمة العداء للسامية، وليس البتة أيّ طراز من العفة أو الحياء، هو الذي منع رجال البنتاغون من استخدام مصطلح الـ«غيتو» في وصف هذه المناطق، إذْ كيف يمكن دفع اليقين بأنّ التفكير في إقامة هذه المناطق المغلقة المبوّبة إنما يعيد إنتاج الخيارات النازية إياها (وتلك، للتذكير، بدأت لاعتبارات أمنية أساساً)، من جانب أوّل، ويضيف إليها مخاطر اجتماعية وديمغرافية وثقافية ودينية أدهى وأفدح عاقبة، من جانب ثانٍ؟ وليس مفاجئاً أنّ هذا الخيار الأمني الذي يُسوّق كواحد من المقاربات الجديدة، ليس جديداً أبداً لأنه ببساطة يعيد إحياء تجربة «الدساكر الاستراتيجية» Strategic Hamlets التي اعتمدتها القوّات الأمريكية في فييتنام، وباءت بفشل ذريع وكارثي (وليس مفاجئاً، كذلك، أن قوّات الاحتلال الفرنسية كانت قد اعتمدت خيارات شبيهة في الجزائر، كما فعل الجيش البريطاني في إيرلندا، وقبلها في الملاوي).

وللطرافة، التي يصعب أن تلوح إلا سوداء قاتمة مع ذلك، ثمة أوجه للمقارنة البلاغية بين الفلسفة السياسية ـ الأخلاقية التي يعلنها بوش اليوم مقترنة باستراتيجيته الجديدة في العراق، وفي سائر مغامرة احتلال هذا البلد سواء بسواء، والفلسفة السياسية ـ الأخلاقية التي ظلّ يرطن بها الرئيس الأمريكي الأسبق لندون ب. جونسون في تبرير المغامرة العسكرية الأمريكية في فييتنام. الفارق، شبه الوحيد في الواقع، أنّ العدوّ آنذاك كان يتمثّل في الخطر الأحمر الشيوعي، وهو اليوم يتمثّل في الخطر الأخضر الإسلامي! خذوا هذا النصّ من خطبة ألقاها لندون جونسون في يوم 1967/1/10: «لقد اخترنا أن نخوض حرباً محدودة في فييتنام لنتفادى حرباً أكبر، حرباً كنّا سنخوضها حتماً في قناعتي إذا نجح الشيوعيون في اجتياح فييتنام الجنوبية والسيطرة عليها عن طريق العدوان والقوّة. وأنني مؤمن، ويشاطرني الكثيرون هذا الإيمان، أنهم إذا لم يُردعوا الآن فإنّ من المتوقع للعالم أن يدفع ثمناً أبهظ لردعهم لاحقاً. ونحن نعلم أنّ هذه الأمّة ما كانت ستنشأ وتترعرع وتحافظ على نجاتها ورفاهها دون مخاطر كبرى وتضحيات الكثير من أبنائها الكبار».

وهنا فقرة مماّ قاله بوش في معرض شرح استراتيجيته الجديدة: «نتائج الفشل واضحة: سيعزز الإسلاميون المتطرفون قوّتهم ويحصلون على متطوعين جدد. سيكونون في موقع أفضل لإسقاط الحكومات المعتدلة، ونشر الفوضى في المنطقة، واستخدام عائدات النفط لتمويل طموحاتهم. ستتشجع ايران في مواصلة عملها لامتلاك سلاح نووي. سيحصل أعداؤنا على ملاذ آمن يخططون ويشنّون منه هجمات على الشعب الأمريكي. في 11 ايلول (سبتمبر) 2001 رأينا ما الذي يمكن أن يجلب ملجأ للمتطرفين في الجانب الآخر من العالم إلى شوارع مدننا. من أجل سلامة شعبنا يجب أن تنجح أمريكا في العراق. قوّاتنا قاتلت بشجاعة، وفعلت كل شيء طلب منها».

الحكمة، مع ذلك، تقتضي الذهاب أبعد قليلاً في التاريخ، وأعمق أكثر في الحسّ الجيو ـ سياسي السليم، للوقوف مجدداً على الأسباب الأكثر جوهرية لذهاب أمريكا إلى الحروب، وغزو الشعوب، وفقدان المئات والآلاف من أبناء وبنات العمّ سام، وإنفاق عشرات المليارات من الدولارات... وقبل أشهر من بدء أولى العمليات العسكرية الأمريكية لغزو العراق، كانت المؤشرات تقول إنّ واشنطن ذاهبة إلى الحرب في كلّ حال، عاد المفتشون الأمميون إلى العراق أم لم يعودوا، وجرى تجريد البلد من السلاح أم لا، لأنّ الرئيس الأمريكي كان بحاجة إلى هذه المغامرة العسكرية لأسباب ذاتية تخصّ إنقاذ رئاسته ومنحها المضمون الذي تبحث عنه منذ مهزلة إعادة عدّ الأصوات في ولاية فلوريدا، وتقوية حظوظه في ولاية ثانية. وكان الحزب الجمهوري بحاجة إليها من أجل الحفاظ على أغلبيته في انتخابات تجديد الكونغرس، ومن أجل إلهاء الأمريكي عن فضائح المؤسسات المالية والمشكلات الإقتصادية والإجتماعية الأخرى التي سكتت الإدارة عنها بذريعة انشغالها بـ«الحرب على الإرهاب».

وكان بوش بحاجة إلى هذه الحرب لأنّ مصالح الولايات المتحدة تقتضي شنّها، وذلك لثلاثة أسباب استراتيجية على الأقلّ: 1) تحويل العراق إلى قاعدة عسكرية أمريكية ضخمة وحيوية، تخلّص أمريكا من أعباء بقاء قوّاتها في دول الخليج، وما يشكّله ذلك الوجود من ذريعة قوّية استخدمها ويستخدمها الأصوليون لتحريض الشارع الشعبي ضدّ الولايات المتحدة وتشجيع ولادة نماذج جديدة من «القاعدة» وأسامة بن لادن؛ و2) السيطرة على النفط العراقي، التي تشير كلّ التقديرات إلى أنه الآن يعدّ الإحتياطي الأوّل في العالم، أي بما يمكن أنّ يتفوّق على الاحتياطي السعودي ذاته؛ و3) توطيد «درس أفغانستان» على صعيد العلاقات الدولية، بحيث تصبح الهيمنة الأمريكية على الشرق الأوسط، ومعظم أجزاء العالم في الواقع، مطلقة أحادية لا تُردّ ولا تُقاوم.

وثمة شهوة الثأر التي تمارسها القوى العظمى، أيضاً! ففي أواخر أيلول (سبتمبر) 2002، كان ريشارد أرميتاج، مساعد وزير الخارجية الأمريكية آنذاك، قد أطلق تصريحاً لافتاً بدا أشبه بمزّج عجيب بين الوعيد والتهديد وزلّة اللسان عن سابق قصد، أوحى فيه بوجود «لائحة» أمريكية لمعاقبة عدد من الأمم والدول والمنظمات جراء هزّة 9/11. وفي معرض حديثه عن «حزب الله»، وفي إشارة غير مباشرة إلى مقتل 291 من عناصر المارينز الأمريكيين في عملية التفجير التي شهدتها بيروت سنة 1982، قال أرميتاج: «إنهم على اللائحة، وساعتهم سوف تأتي، ولا ريب في ذلك. إنهم مدينون لنا بالدمّ». حينئذ انتبه المعلّق البريطاني الشهير روبرت فيسك إلى هذا التصريح المافيوزي، فنقله وتساءل: لائحة؟ هل تحوّلت «الحرب على الإرهاب» إلى لائحة ثأرية، بدليل الحديث عن «دَين الدمّ»، هذا التعبير الذي اعتبره فيسك «مفزعاً وطفولياً في آن معاً، لأنه يوحي بأنّ ما تنخرط فيه الولايات المتحدة ليس سوى سلسلة من الهجمات الثأرية، وأبعد ما يكون عن حرب الخير ضدّ الشرّ». وكان التفصيل التالي، المنطقيّ في مثل هذا التساؤل، هو الآتي: ولكن... كيف يسير الدَوْر؟ مَنْ قبل مَنْ؟ العراق، «حزب الله»، الطالبان، القاعدة»، وربما إيران، وسورية؟ وهل كان هذا يفسّر، جزئياً على الأقلّ، الحال السوريالية المتمثّلة في مسارعة مجلسَي النوّاب والشيوخ إلى منح بوش تفويضاً بشنّ الحرب على العراق، وكأنّ الساسة في واشنطن لم يسمعوا بأخبار اجتماع رئيس لجان التفتيش آنذاك، هانز بليكس، مع المسؤولين العراقيين للاتفاق حول مواعيد عودة المفتشين؟

وهكذا فإنّ جوهر المسألة كان وما يزال يدور حول المعادلة الأمريكية الكبرى المعتمدة في السياسة الخارجية، وهي المعادلة القديمة ـ الجديدة المتجددة، التي لا تعبأ في المقام الأوّل إلا ببلوغ المصالح الأمريكية أياً كان الثمن، وتعتبر كلّ ما عدا ذلك تفاصيل قابلة للتكييف أو التعديل أو التحريف أو حتى الإغفال التامّ البسيط.

تفاصيل مثل الديمقراطية وحقوق الإنسان وتوطيد مؤسسات المجتمع المدني هي آخر ما يضعه المخطّطون السياسيون والعسكريون الامريكيون في اعتباراتهم حين يجري سرد محاسن، ومساوىء، غزو هذا البلد أو ذاك عسكرياً. وفي مثل حال العراق، يكفي أن يكون هذا البلد حاملاً لأخطار على المصالح الأمريكية في مبدأين حاسمين، هما الحفاظ على النفط متدفقاً رخيصاً والحفاظ على أمن الدولة العبرية، لكي تسقط جميع الإعتبارات الأخرى من فلسفة التخطيط، ومن حسابات الربح والخسارة.

هل تعلّمت هذه الإدارة أيّ شيء من دروس عقد كامل من التعاطي الأمريكي الأخرق مع الملفّ العراقي، ومثله الملفّ الإيراني؟ هل تعلّم الابن أيّ شيء من دروس «عاصفة الصحراء» التي خاضها الأب ووزير دفاعه آنذاك، نائب الرئيس الحالي؟ بل هل تعلّمت الولايات المتحدة أيّ شيء معمّق شرق ـ أوسطي من دروس 9/11؟ الأرجح أنّ الإجابة بالنفي التامّ ليست ظلماً للبيت الأبيض: لا أحد تعلّم شيئاً، ولا أحد يرغب أصلاً في تعلّم أيّ شيء، بل مَن الذي يزعم أنّ «التعلّم» هذا موضوع على الأجندة في الأساس؟

الراغب في أدلّة جديدة سيعثر عليها، دون عناء، في هذه الخطة الأمريكية للحجر على العراقيين داخل غيتوات، واستيفاء المزيد من ثأر الدمّ، وكذلك في التزامن غير العشوائي أبداً بين إعلان الرئيس الأمريكي استراتيجية جديدة في العراق، وقيام القاذفات الأمريكية بقصف جنوب الصومال وإيقاع عشرات الخسائر في صفوف المدنيين، وأخيراً... حلول الذكرى الخامسة لإقامة معسكر الاعتقال في غوانتانامو!

* كاتب وباحث سوري يقيم في باريس

طالباني في دمشق.. إهانة لسورية واستفزاز للعرب

هارون محمد *

■ بأي وجه سيذهب جلال طالباني الى دمشق في زيارة رسمية لها خلال الايام القليلة المقبلة، وهو الذي انكر جميلها عليه، وشن عليها هجمات لم تتوقف ووجه اليها اتهامات لم تنقطع، وما زال يحرض عليها ويتمنى سقوطها بيد الغزاة، حتى يشفي غليله المتراكم واحقاده الدفينة والعلنية على العروبة والعرب، ويأي عين سيقابل المسؤولين فيها وهو الذي شتمهم بوقاحة ونسب اليهم افعالاً واعمالاً كانت من وحي أسياده الامريكان الذين نسجوا قصصاً وفبركوا أحداثاً للإيقاع بسورية وضربها كما ضربوا العراق بحجج وذرائع كاذبة.

ومن المحزن ان تستقبل سورية هذا الرجل في عاصمتها دمشق قلعة العروبة، وهو الذي بات يكره العروبة ويعتبرها استعماراً تارة، وقومية عدوانية تارة اخرى، رغم ان القوميين العرب والناصريين في العراق وسورية ومصر ولبنان والجزائر، هم الذين دفعوه الى الواجهة وعرفوه على القادة والرؤساء العرب، وهيئوا له حضور المؤتمرات والاجتماعات العربية، وكان هو نفسه يعترف بذلك الى خمس سنوات مضت، ويفتخر بان اغلب اصدقائه السياسيين هم من القوميين والناصريين واكثر من السياسيين الاكراد، وظل الى سنوات أربع يردد: لولا سورية لما امكن تأسيس الاتحاد الوطني، ولولا ليبيا لما تمكنت قيادات الاتحاد ان تعيش في دمشق وبيروت وتتنقل بين عواصم اوربا بتذاكر السفر الدرجة الاولى وتعقد الاجتماعات والندوات وتصدر النشرات والبيانات وتحمل جوازات سفر سورية صحيحة، ولكنه عقب احتلال العراق مباشرة لحس اعترافاته وتصريحاته هذه فجأة، وتحول الى مهاجم شرس ضد كل شيء عربي سواء كان شخصاً او زعيماً او مكاناً او مدينة او دولة، وقد حدثني احد رفاقنا الحركيين القدامى، وهو شخصية عمالية بارزة، يرتبط مع جلال بعلاقات صداقة وصلات سياسية منذ منتصف الستينات، انه زار طالباني بدعوة منه عندما جاء الى بغداد واتخذها مقراً له في أوائل ايار (مايو) 2003، وبعد ان رحب به بحرارة وفاصل من القبلات كعادته، راح يستعيد ذكرياته البغدادية واصدقاءه العرب السابقين، وفجأة قال لضيفه العربي بطريقة فجة: (والله زين انني اجلس معكم انتم القوميون العرب بعد الذي عملتوه معنا)، ودهش الضيف من هذا الكلام ولكنه ضبط اعصابه ورد عليه: نحن عملنا لكم كأكراد ولك شخصياً كل خير.. وإذا كنت تنسى او تتناسى دعني أذكرك بالاحداث والتواريخ والوقائع والشهود. وأحرج جلال الذي أدار الحديث نحو قضايا أخرى، فاضطر الضيف الى تركه وغادر مقره غاضباً.

لقد امضى جلال طالباني مع رفاقه المنشقين عن حركة الملا مصطفى خمس سنوات في بغداد (1966–1970) كانوا فيها ضيوفاً على الحكومات العراقية المتعاقبة ابتداء من حكومة اللواء ناجي طالب وبعدها حكومة الرئيس عبدالرحمن عارف وحكومة الفريق المرحوم طاهر يحيى وانتهاء بحكومة حزب البعث عقب 17–30 تموز (يوليو) 1968، وكان مرشحه في الحكومة الاخيرة السيد طه محي الدين معروف الذي اكتشف الاعيب جلال مبكراً فتركه لينضم الى العراق بدلاً من حزب يرتزق، وخلال تلك السنوات كان طالباني ومجموعته يتلقون الرواتب الشهرية والمكافآت المالية ويسكنون افخم البيوت ويستخدمون احدث السيارات على حساب الحكومات العراقية، ومن المفارقات المحزنة ان الضابط التميمي الذي كان يصرف لجلال وجماعته رواتبهم الشهرية وهو برتبة (رائد) في مديرية الاستخبارات العسكرية في اعوام 1966–1969 هرب من العراق عقب الاحتلال، بعد ان اكتشف ان محازبي طالباني يسألون عنه في حي الضباط (اليرموك) ويجمعون معلومات عن بيته وزملائه وجيرانه لالقاء القبض عليه واعتقاله، لان طالباني كما يبدو لا ينسى له مواقف سابقة تتعلق بتعاملاته مع الاستخبارات والتقارير التي كان يقدمها اليها عن خصومه الاكراد، والرائد التميمي يومذاك ضابط الارتباط معه ويحتفظ بالكثير من الاضابير والملفات عنه.

وإذا كان جلال قد انقلب على من ساعده ووقف معه في العراق، فانه ظل رجلاً بلا وفاء حتى مع السوريين والمصريين والليبيين الذين أعانوه في محنته خلال النصف الاول من عقد السبعينات، ويستذكر طالباني تلك السنوات في أحاديثه الى مجلة (الوسط) اللندنية انه بعث برسالة الى الملا مصطفى وكان في طهران عقب انهيار حركته التمردية يدعوه الى استئناف العصيان ضد الحكومة المركزية ويبلغه ان السوفييت اعلموه عبر بريماكوف وهو وقتئذ مدير مكتب وكالة نوفوستي في بيروت سيقدمون الدعم اللازم له، ويضيف جلال ان الملا أخبر مبعوثه حامل الرسالة (عد من حيث أتيت.. هل يريد طالباني ان يشعل الثورة من جديد إذا كنت عاجزا عن القيام بها؟).

ومع الاسف فان السلطات السورية في ذلك الوقت، دعت جلال الى دمشق وهو الذي كان يتنقل بين السفارات السوفييتية والبريطانية والفرنسية والامريكية بحثاً عن دعم سياسي ومالي له، تاركاً اسرته في القاهرة برعاية المناضل القومي عبدالله الركابي والأستاذ محمد حسنين هيكل، فلم يجد من تلك السفارات الاجنبية غير الوعود الواهية، ولكن دمشق هيأت له مقهى طليطلة في حي ابو رمانة ليعقد اجتماعاً مع ثلاثة من رفاقه فؤاد معصوم وعادل مراد وعبدالرزاق ميرزا، والاخيران من الاكراد الفيلية، ليعلن الاربعة في الثاني والعشرين من ايار (مايو) 1975 عن تأسيس حزب الاتحاد الوطني الكردي، ويصدر بياناً تلقفته صحيفتا (الثورة وتشرين) الحكوميتان اللتان نشرتا البيان بعد ان اضفتا عليه عبارات المبالغة والتضخيم مشيرة الى ان البيان وقع عليه المئات من الشخصيات الكردية رغم ان المجتمعين كانوا اربعة لا غير، وبعد ذلك وفرت السلطات السورية لجلال مستلزمات السفر الى اوروبا للقاء الاكراد اللاجئين او الدارسين فيها وضمهم الى حزبه، فلم ينجح الا في كسب اثنين فقط الى تنظيمه، وهما أنوشيروان مصطفى الطالب في فيينا، وكمال فؤاد الطالب في برلين، وشكل من الستة أول لجنة قيادية لحزب الاتحاد، وفيما بعد اضاف لهم كردياً سورياً اسمه عمر شيخ موس يعيش في السويد.

وسهلت الاجهزة السورية لجلال طالباني التوجه الى العاصمة البريطانية بجواز سفر دبلوماسي سوري حيث عقد اجتماعاً مع خمسين كردياً بين طالب ولاجئ في لندن بتاريخ العشرين من آب (اغسطس) 1975، ويبدو ان المخابرات العراقية كانت على علم مسبق بقدوم طالباني واجتماعه، وتمكنت من اختراق اجتماعه وتسجيل نصه بالكامل، وارسلت اليه على عنوانه الدمشقي نسخة منه هدية للعلم والإطلاع!

ويتندر اللاجئون العراقيون في سورية بحكاية وفد من (جوقد) الجبهة الوطنية والقومية والديمقراطية العراقية التي انشأتها المخابرات السورية من تنظيمات واحزاب معارضة لبغداد، سافر الى ليبيا بطائرة صغيرة من نوع (كرافيل) فرنسية الصنع، مخصصة لوزير الخارجية السوري الاسبق عبدالحليم خدام، وبعد اختتام زيارة الوفد الذي ضم عبدالجبار الكبيسي عضو قيادة حزب البعث–الجناح السوري، وجلال طالباني وآخرين من ضمنهم الشيخ المرحوم حسن النهر، وهو رجل كبير السن، فزع عندما لاحظ ان الطائرة التي ستعود بهم الى دمشق قد بدأت تهتز وهي ما تزال على الارض من ثقل الاكياس الكثيرة وفيها الدنانير الليبية، ولأنه جديد على الطيران في ذلك الوقت، فقد اقترح ان تحمل الطائرة نصف الاموال في سفرتها هذه، وتعود الى ليبيا في رحلة اخرى لحمل النصف المتبقي، فرد عليه جلال حانقاً: (هي سلعة يو بضاعة حتى تنقل على دفعتين.. هاذي فلوس بابا.. ملايين) ولكن الشيخ بعفويته المفرطة قال: انا اخشى على الطائرة من حملها الثقيل، وقد تضطرون الى رمي بعض الاكياس منها عند حدوث خطر عليها في الجو، فرد عليه طالباني ساخراً: والله يا ابو شامل.. لو حدث شيء من هذا القبيل، سأرميك انت من الطائرة. وسكت الشيخ النهر على مضض.

والحكايات كثيرة عن دعم الدول العربية لجلال طالباني وحزبه العتيد، ولم تعد هناك اسرار وخفايا، ولكن هذا الرجل قابل المعروف العربي بالأذى للعرب، واستغل الفضل العربي عليه بكره العرب والتحريض عليهم، ومن المعيب ان تستقبل دمشق او غيرها من العواصم العربية هذا (الكردي التائه) كما اسمته الزميلة (السفير) اللبنانية في معرض تعليقها على الحاحه بالتقاط صورة تذكارية مع الصهيوني شيمون بيريز خلال احدى اجتماعات (الاشتراكية الدولية) في روما منتصف التسعينات، وقالت عنه انه يتلون حسب الفصول والمواسم، فهو يصير بعثياً ويزايد على صدام حسين وحافظ الاسد، ويتحول الى ناصري اكثر من جمال عبدالناصر، ويصبح شيعياً ويناطح الخميني في شيعيته، ويكون صهيونياً وينافس بيريز في صهيونيته.

طالباني في دمشق.. إهانة لها واستفزاز لمشاعر العرب جميعاً، وحرام والله حرام ان يطأ أرضها وشوارعها وفنادقها ومؤسساتها، هذا الذي لا يخجل ولا يستحي ويسب العرب ودولهم وشعوبهم واحزابهم وشخصياتهم وحكوماتهم بأقذع الشتائم الرخيصة التي تدلل على معدنه الصافي جداً جداً.

* كاتب وصحافي عراقي مقيم في لندن

مرض جنون رعاة البقر (وبعض أبقارهم)

د. عبدالوهاب الافندي

(1)

لنتخيل للحظة أن بعض ضحايا مجرمي الحرب الأمريكيين ممن ثبت ضلوعهم بالحجج المبينة في جرائم موثقة ضد الإنسانية في فيتنام أو شيلي أو غواتيمالا أو العراق أو... أو... إلخ، قاموا بالتوجه إلى منزل المجرم المعني وقصفوه بالصواريخ انتقاماً. أو لنتخيل أن بعض من نهبت بعض الجهات الأمريكية أموالهم أو دمرت بيوتهم توجهوا إلى أقرب بنك أمريكي ونهبوا أرصدته بحد السلاح بحجة أنهم يتقاضون تعويضاً، أو يعاقبون المجرم أو يمنعونه من ارتكاب جرائم جديدة. هل ستكتفي بقية دول العالم بالإعراب عن «قلقها» من مثل هذه التصرفات التي لا تساعد على تحقيق الاستقرار في العالم؟ أم أن الكل سيدعو «نزالا» ويعلن الحرب على الإرهاب والفساد في الأرض؟

(2)

ولكن هذا تحديداً ما فعلته السلطات الأمريكية خلال الأيام القليلة الماضية، حيث قامت في يوم واحد خلال هذا الأسبوع بقصف قرى آمنة مسالمة في الصومال، وحولت أحد شوارع بغداد إلى ساحة حرب مفتوحة تقصف فيها الصواريخ والقنابل منازل المواطنين. وفي نفس اليوم قامت الإدارة بتجميد أرصدة مصرف إيراني بحجة أنه يمول التسلح الإيراني (كأن تنفيذ برامج التسلح إثم تعاقب عليه الدول مع أن حق الدفاع عن النفس حق سيادي تكفله المواثيق الدولية لكل الدول مهما كان حجمها).

(3)

لا تتعلق المسألة هنا بما لو كان الضحايا مذنبين بما تتهمهم به الجهات الأمريكية (وهي تهم ترددها وسائل الإعلام حتى العربية ببغاوية مدهشة). فحتى لو افترضنا صحة هذه الاتهامات فإن الإجراء الحضاري السليم هو اعتقال المتهم وتقديمه لمحاكمة عادلة. ولكن الذي يحدث في غالب العمليات الأمريكية هو أن المعلومات التي على أساسها استهدف الضحايا كانت خاطئة، وأن معظم من سقطوا لا علاقة لهم بالأمر. وحتى في حالات المعتقلين في غوانتانامو الذين وصفهم وزير الدفاع الأسبق بأنهم «حثالة أهل الأرض» وأنهم مجرمون خطرون، فإن العشرات منهم أطلق سراحهم بدون توجيه تهمة، كما أن معظم الباقين لم توجه لهم تهمة بعد.

(4)

حتى لو افترضنا جدلاً مقبولية مثل هذه التصرفات في أحوال استثنائية فإن الهمجية أصبحت هي القاعدة لا الاستثناء، حيث أن القوات الأمريكية وقوات الدول الحليفة أصبحت ترى أن من حقها التصرف بطريقة رجال الكاوبوي وعصابات المافيا في أي مكان تشاء، وتمارس «اصطياد» البشر مثل الوحوش في مواقع تتراوح بين الفلبين وباكستان وأفغانستان واليمن والصومال والعراق والشيشان وغيرها.

(5)

وهناك بالطبع أس البلاء وأصل الداء، إسرائيل التي ابتدعت هذه البدعة السيئة وتولت كبرها. وهي لا تمل من تذكيرنا بذلك، كما حدث في شتاء من عام 2004 حين تزامن الهجوم على الفلوجة مع هجوم مماثل على غزة يتبع نفس المنهج، ويستخدم الجنود فيه نفس الآليات بل تكاد هيئتهم وأزياؤهم تتشابه بحيث يصعب على المتابع للتغطية الإعلامية لهذه العمليات أن يفرق بينما يجري في الفلوجة وما يجري في غزة.

(6)

لمزيد من التأكيد على التشابه والتكامل بين منهج القتل العشوائي وأسلوب النهب المسلح، فقد نقلت لنا الأجهزة الإعلامية خلال اليومين الماضيين مشاهد تقوم فيها عصابات النهب المسلح المسماة بالمستوطنين في الخليل بالتهجم اليومي والمنهجي على أسرة فلسطينية لا ذنب لها سوى أنها لم تستسلم لرغبة هذه العصابات في طردها من منزلها. وفي مشهد آخر مقابل تستعد عصابات النهب المسلح التي تسمي نفسها دولة لهدم منازل ستة مواطنين عرب بنيت على أرض آبائهم وأجدادهم، في حين لا تمس تلك «الدولة» المهاجرين الروس وغيرهم الذين يقومون ببناء مستوطنات على أرض ليست لهم في مخالفة حتى لقوانين «الدولة» المجازية.

(7)

ليس مستغرباً أن يتسع نطاق الإرهاب وتتعدد أشكاله ويكثر المقبلون على صفوفه، بل المستغرب هو الصبر المحمود لكثير من ضحايا هذه الأعمال الهمجية من التقتيل والنهب والاضطهاد دون اللجوء إلى الإرهاب.

(8)

للتذكير فإن حجة أمريكا (وإسرائيل) الأبرز ضد الإرهاب والإرهابيين هي عدم التزامهم بالقواعد المتفق عليها في القتال، وأبرزها البعد عن استهداف غير المحاربين. أمريكا وإسرائيل هما أول من يعترف بأنهما ارتكبتا المظالم في حق ضحاياهما، ولكنهم يصرون أن على هؤلاء الضحايا المطالبة بحقوقهم بالتي هي أحسن، والصبر على «الحوار» و«العملية السلمية» حتى ينالوا حقهم. ولكن يبدو أن الجنون الذي أصاب إدارة بوش بعد طامة الحادي عشر من ايلول (سبتمبر) لم يجعلها فقط ممن يأمرون الناس بالبر وينسون أنفسهم، بل إنه سيجلب عليها كوارث أخرى تبعاً للمثل الإغريقي الذي يقول إن من تريد الآلهة تدميره فإنها تبدأ بأن تصيبه بالجنون.

(9)

الجنون لم يقتصر فقط على بوش وبطانته بل تعداه إلى حلفائهم، مثل أولئك القادة الصوماليين الذين يطالبون أمريكا بمزيد من القصف على إخوانهم في الوطن حقداً وإعلاناً للعجز وافتقاد الإنسانية ناهيك عن الوطنية، أو أولئك القادة العراقيين الذين يحجون إلى واشنطن يستمطرون صواريخها ورصاصها على أهلهم وجيرانهم. وكفى دلالة على جنون الأمريكيين أنهم اختاروا مثل هؤلاء «الحلفاء».

القدس العربي
يومية سياسية مستقلة
تطبع في لندن ونيويورك وفرانكفورت وتوزع في جميع انحاء العالم
الاشتراكات:
الاشتراك السنوي 450 جنيها استرلينيا في عموم بريطانيا و 750 دولارا امريكيا للوطن العربي وخارج بريطانيا بما في ذلك اجور البريد.

الناشر:
مؤسسة القدس العربي للنشر والاعلان
رئيس التحرير:
عبد الباري عطوان

المقر الرئيسي (لندن): 164/166 كنج ستريت، همرسميث، لندن دبليو 6 او كيو يو
هاتف: 8008 741 ـ 0208 (6 خطوط) ـ
فاكس: 8902 741 ـ 0208 أو 7637 748 ـ 0208
مكتب القاهرة: 43 أ شارع قصر النيل ـ الدور الاول ـ شقة رقم (2). هاتف/فاكس: 3901523(202)
مكتب المغرب: 80 شارع فال ولد عمير شقة 7 الطابق الرابع ـ الرباط. هاتف/ فاكس: 723152(37 212)
مكتب عمان: شارع الصحافة مجمع البداد التجاري الطابق الرابع.
هاتف/فاكس: 5066089 (9626)
مكتب باريس: هاتف ـ فاكس: 57364 420 (331)

Head Office (London): 164-166 King Street, Hammersmith, London W6 0QU England
Tel: 0208-741 8008 (6 Lines) **Fax:** 0208-741 8902 / 748 7637
email: ***alquds@alquds.co.uk*** * *Internet:*